BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Dec 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 25,05,2023 | Accepted: 23.10.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10276395 0000-0002-7132-6388

أدب الكلمة الهادفة في القرآن الكريم ودورها في الخطاب الإعلامي: سورة الشعراء أنموذجاً

The Literature Of The Purposeful Word in The Holy Qur'ān And Its Role in The Media Discourse: : Surat As-Shu'arā' As Model

سعد الدين علي أوغلو* **&** **صالح درشوي****

Sadettin ALİOĞLU **&** **Salih DERŞEVİ**

ملخص: تسهم الكلمة الهادفة في تشكيل القناعات لدى الأفراد والمجتمعات، فهي مناط حياة الإنسان؛ إما أن تحمل الخير، وإما أن تحمل الشر. وقد مثل الشاعر فيما مضى الإعلام المعاصر الذي كان يوجه عقول العامة، وقد سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، إشعاراً بأهمية الشعراء ودورهم في الخطاب والإقناع، وإشارة إلى أثر الكلمة الهادفة في تشكيل الرأي المجتمعي. تناول البحث أثر الكلمة الهادفة إيجاباً من خلال صوت الحق الذي مثَّلَهُ خطاب الأنبياء لأقوامهم، وسلباً من خلال دعوات التضليل والإفساد التي نادى بها المضللون؛ وذلك في نطاق ما ورد في سورة الشعراء من حوارات بين الأنبياء وأقوامهم. وقد سلك الباحثان في هذه الدراسة منهج الاستقراء والاستنباط، فظهرت لهما المقاصد التي هدفت لها السورة، والغرض من تسميتها بـ"الشعراء"، فالكون أقيم على ثنائية الحق والباطل، والتدافع بينهما سنة كونية، وأنصار كل فريق يوظف الكلمة لنشر معتقده والترويج له.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الكلمة الهادفة، أدب، الشعراء، الخطاب الإعلامي.

* Karabük University, Faculty of Islamic Sciences, Department of Arabic Language and Rhetoric. Karabük, Turkey. ORCID:0000-0002-7132-6388| E-Mail: saadalali17@gmail.com

**Assistant Professor, Karabük University, Faculty of Islamic Sciences, Department of Arabic Language and Rhetoric. Karabük, Turkey. ORCID: 0000-0002-1774-2460 | E-Mail: salihdersevi@karabuk.edu.tr

Abstract: Words hold immense power in shaping the beliefs of individuals and communities, either for good or evil. Historically, poets were seen as the voice of contemporary media that influenced public opinion. The Quran even has a chapter dedicated to poets, highlighting their importance in rhetoric and persuasion. This study delves into the impact of meaningful words, exploring the positive influence of truth through the speeches of prophets and the negative effects of deceitful language used to corrupt people. The research analyzes the dialogues between prophets and their communities in Surah Ash-Shu'ara, using the method of induction and deduction to uncover the objectives of the Surah and the reasoning behind naming it "The Poets." The universe operates on the duality of truth and falsehood, and the battle between them is a universal law. Those in favor of either side use words to promote their beliefs and sway public opinion.

Keywords: Arabic, the purposeful word, literature, poets, media discourse.

١. مدخل

للكلمة الهادفة أثر بالغ في عقول السامعين وتفكيرهم، بغض النظر عن نوع الهدف والغاية من الكلمة، إن خيرًا وإن شرًا. ويكون أثرها أكثر وقعًا على الدُّهَماء من الناس، الذين تدفعهم كلمة، وتأتي بهم أخرى. ولكن قبل الوقوف على أدب الكلمة الهادفة لابد من تعريف مفردات هذا العنوان، فـ"الأَدَبُ": في الأَصلِ الدُّعَاءُ مطلقًا، وكل ما يُتَأَدَّبُ بِهِ، والأَديبُ من النَّاس، سُمِّيَ بِهِ لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلى المحَامِدِ وَيَنْهَاهُمْ عَن المَقَابِحِ، والمأدبة هي المِدْعَاةُ، وكلُّ طَعَام صُنِعَ لِدعْوَة، أَوْ عُرْسٍ وجَمْعُه المآدِبُ، وَفِي الحَدِيث: «إِنَّ هذَا القُرْآنَ مَأْدَبَةُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدَبَتِهِ» يَعْني مَدْعَاتَه.[١].

والكلمة: "الْكَلِمَة تقع على الْحَرْف الْوَاحِد من حُرُوف الهجاء، وَتَقَع على لَفْظَةٍ وَاحِدَة مُؤَلَّفةٍ من جماعةِ حروفٍ لَهَا مَعْنى، وَتَقَع على قصيدة بكمالها، وخُطْبَة بأسْرها. يُقَال: قَالَ الشَّاعِر فِي كَلمته أَي فِي قصيدته، والقرآنُ كلَامُ الله، وكَلِمُ الله، وكَلِمَاتُ الله، وكلمةُ اللَّهِ..."[٢]

[١] انظر: محمّد الحسيني الزَّبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس* (الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥م) ١٢/٢، "باختصار".

[٢] محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، *تهذيب اللغة*، تح:محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ١٤٧/١٠

أما "الهادفة": فمن "الهدف": هدَف إلى الأمر: جعله هدَفًا وغرضًا يسعى إليه"[٣] ؛ فقد يكون الهدف نظيفًا طيبًا، وقد يكون الهدف خبيثًا مضللًا.

أما "الخطاب": فللخطاب تعريفات مُعْجَمِيَّة سابقة وأخرى معاصرة: فقد ورد في مختار الصحاح: "خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ"[٤]. أما التعريف المعاصر للخطاب: فقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة تعريفه بـ: "كلام يوجّه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات"[٥].

أما "الإعلام": فقد ورد تعريفه في معجم اللغة العربية المعاصرة بمصطلحات متعددة، منها: "الإعلام: مصدر أعلمَ، وهو: النشر بواسطة الإذاعة أو التّليفزيون أو الصّحافة، و"إعلام صادق- إعلامٌ سياسيّ "وإعلام الدّولة: أي المعلومات التي ترغب الدَّولةُ في نشرها بالصُّحف والمجلاّت والتّلفاز والإذاعة"[٦].

وتظل الكلمة مناط حياة الإنسان، إما أن تحمل في طيَّاتِها الخير الذي يثمر الخير، أو تحمل الشر الذي يثمر الشر. فالكلمة الطيبة يبقى أثرها الطيب، والكلمة الخبيثة لها أثرها الخبيث.

ولقد بين رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خطورة الكلمة الخبيثة فقال: " «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»[٧]. وقد كان للكلمة من الشعر الأهمية الكبرى، والمكانة السامية عند العرب، ولعل الشاعر العربي فيما مضى يمثل الإعلامي المعاصر الذي يوجه عقول العامة؛ فالبيت من الشعر يرفع قبيلة ويحط أخرى، ويعز شخصًا ويذل آخر. ومن عجائب فعل الشعر بالعرب أن قبيلة نمير كانت من أشرف القبائل وأسماها: (وهي جمرة من جمرات العرب) فلما قال فيهم جرير[٨]:

---

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٣٣٣/٣.

[٤] أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير* (بيروت: المكتبة العلمية،١٤٣١هـ)، ١٧٣/١.

[٥] أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ٦٦٠/١.

[٦] أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ١٥٤١/٢.

[٧] أحمد بن حنبل الشيباني، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت)، ١٤٩/١٢، رقم: ٧٢١٥.

[٨] ينظر: ابن سلام الجمحي، *طبقات فحول الشعراء* (جدة: دار المدني، د.ت)، ٣٧٩/٢

فغضَّ الطرف إنك من نمير*** فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ولو وضعت شيوخ بني نمير*** على الميزان ما عدلت ذبابا

سقطت قبيلة نمير وسقط أفرادها، ولم يرفعوا بعد ذلك رأساً، حتى كانوا لا يتسمون بهذا الاسم، فإذا قيل للواحد منهم ممن أنت؟ قال: عامريّ.[٩] وبيت من الشعر يرفع شأن قبيلة وضيعة؛ كما ورد في خبر قبيلة بني أنف الناقة التميمية، حيث كانت العرب تستهزئ بأفرادها وتسخر منهم، حتى إذا سُئل أحدهم من أي قبيلة انت؟ أجاب: من بني قريع، إلى أن جاء الحطيئة ومدحهم بقصيدة منها قوله[١٠]:

سيري أُمامَ فإنَّ الأكثرين حصىً***والأكرمين إذا ما يُنْسبونَ أبا

قومٌ هم الأنفُ والأذناب غيرهمُ***ومنْ يسوِّي بأنف الناقةِ الذَّنَبا

فأصبحوا بعد ما مدحهم الحطيئة إذاُ سئل أحدهم من أي قبيلة أنت قال باعتزاز وفخر: أنا من بني أنف الناقة. ولعل للكلمة الهادفة أثر بالغ في حياة الفرد والمجتمع، فهي تسهم في تشكيل القناعات لدى الأفراد والمجتمعات، وقد أبرز القرآن الكريم أثر الكلمة الهادفة في الحالين كليهما: الإرشاد أو الإضلال.

وللكلمة الهادفة–الهادية منها والمضللة– تأثيرها في المجتمعات البشرية، والصراع بين الحق والباطل لا ينقضي مادامت الحياة. وماورد في سورة الشعراء من حوارات تمثل حقيقة الإعلام بشقيه المرشد والمضلل. فهل يتمكن صاحب الكلمة الهادفة من إقناع شريحة كبيرة من المجتمع، بغض النظر عن صدقية الكلمة؟ وما مدى أثر الكلمة الخبيثة في تضليل المجتمع البشري؟ ومن هم أتباع الخطاب الإعلامي المضلل؟ ولماذا؟ وكذلك من هم أتباع الخطاب الإعلامي الهادي؟ ولماذا؟ وهل تصمد الكلمة الخبيثة إذا زخرفت وزينت أمام الكلمة الطيبة؟ أسئلة ستتم الإجابة عنها في هذه المقالة التي سلك الباحث فيها منهج الاستقراء والاستنباط؛ لإبراز أثر الكلمة الهادفة في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية. ولعل الدراسات التي تناولت هذه السورة كلها تعنى بمجال البلاغة: بيانها، وبديعها، ومعانيها، ولم يتطرق أحد من الباحثين للمقاصد التي هدفت لها السورة والغرض من تسميتها بـ"الشعراء "، وختمها بآيات تلقي الضوء على الأثر الإعلامي للشعراء، الذين وصفهم بأنهم يتبعهم الغاوون، وأنهم في كل واد من وديان القول يهيمون، حيث تجري تلك الوديان بالسيول التي تحمل الجيف والأرواث وسائر خشاش الأرض، باستثناء أصحاب الكلمة النظيفة الطيبة. لذلك آليت

[٩] الحسن بن مسعود اليوسي، *زهر الأكم في الأمثال والحكم*، تحقيق: محمد حجي (الدار البيضاء: الشركة الجديدة،١٩٨١ م)، ١/٦-٢٦.

[١٠] ينظر: إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني، *زهر الآداب وثمر الألباب* (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١/٥٤

أن أملأ هذه الفجوة بالبحث في ثنايا السورة عن أثر الكلمة الإعلامية ومدى إقناع المجتمعات بمقاصد حاملها، وذلك بتبصيرهم طريق الهداية والرشد، أو سوقهم إلى طريق الضلال والغواية.

٢. الشعراء في القرآن الكريم ولما كان الشاعر هو الإعلامي الذي يسمع صوته في المجتمع العربي، فقد سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، وفي هذا الاسم إشعار بأهمية الشعراء، الذين كانوا يمثلون الصوت المسموع والمتبوع، وإشارة لطيفة لمن يقرأ السورة، ليتدبر مضمونها، الذي لا يخلو من وقفات تبرز خطر الصوت الإعلامي، ودوره في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية.

وقد ختمت السورة بوصف دقيق للحال الذي يمثله الشعراء، ومدى تأثير شعرهم في عقول العامة من الناس.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١١]

نستشف من الآيات الأخيرة في هذه السورة الكريمة، أن الشعراء في البيئة العربية هم الذين يمتلكون الخطاب الإعلامي، الذي ينقاد له الرأي العام في المجتمع، وأكثر الشعراء ينتهجون الإعلام المضلل، فينشرون الكلمة الكاذبة ويصدقها رعاع الناس وعوامهم؛ ويستثنى من الشعراء القليل من الصادقين، الذين يبلغون الكلمة النقية الصادقة.

٣. مهمة الأنبياء الإعلامية وما يكتنفها من الحرج

والمتأمل في مضمون السورة الكريمة " الشعراء" يجد تيارين إعلاميَّين متقابلين، تيار يدعو إلى الهداية والرشاد يمثله الأنبياء، ويقابله تيار آخر يدعو إلى الضلال والغواية، يمثله (الملأ) وهم سادة الأقوام وأغنياؤهم. لقد افتتحت السورة الكريمة بالإشارة إلى الكتاب المبين وهو القرآن، الذي يحمل في طياته كلمة الصدق ودعوة الحق، التي يحملها الرسل ويبلغونها إلى الخلق،﴿طسٓمٓ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[١٢] فما من رسول إلا أتى قومه بالكتاب المبين، وقدم لهم الحجج والبراهين الدالة على صدق دعوته.

---

[١١] الشعراء ٢٢٤؛ ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧

[١٢] الشعراء ١–٢

٣. ١. دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

محمد رسول الله –عليه السلام هو سيد الرسل– يشتد كربه ويزداد حزنه، لتكذيب قومه وإعراضهم وسخريتهم، لذلك تفتتح السورة بالآية التي تصور حالته النفسية حينما يأتي قومه حاملًا الخطاب الإعلامي الصادق، فيواجه بالسخرية والتكذيب من سادة القوم وكبرائهم، فيحزن ويشتد حزنه حتى يوشك أن يقتل نفسه، كمدًا وحسرة على تفريط قومه وجحودهم، وعدم استجابتهم، فيواسيه ربه ويُعَزّيه، بأنه معه يُسنِدُه، لا يسلمه ولا يخذله، ويتوعد المكذبين برسالته والساخرين منها، ويهددهم بأحداث تسوؤهم وتخزيهم، بسبب تكذيبهم واستهزائهم.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ * إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ * وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ * فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[١٣].

وهكذا تفتتح السورة الكريمة بتصوير المهمة الشاقة للرسول الكريم، الذي يحمل الخطاب الإعلامي الهادي الرشيد، كيف يقابل بتنكر القوم لدعوته، وتكذيب رسالته، كما تصور الحالة النفسية الصعبة التي تعتريه حينما كلف بالرسالة الإعلامية، التي يأمره الله –سبحانه–بتبليغها إلى قومه، لما يعلم من تكذيب الأقوام، وعدم الاستجابة لمضمون لرسالة. لأنه يحدُّ من شهواتهم، ويكبح جماح أهوائهم.

وفي قوله –سبحانه– ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾ قال الزمخشري: "أي:"وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا، إلا جددوا إعراضا عنه وكفرا به"[١٤] ، ففي الآية إشارة لتعنتهم ونكرانهم وعدم قبولهم دعوة النبي محمد عليه الصلاة السلام. وقد تدرج إنكارهم من الإعراض الذي هو تكذيب خفي غير معلن، إلى التكذيب الصريح، حيث تصاعد نكرانهم حتى بلغ الاستهزاء بالرسالة وبحاملها، لذلك يتوعدهم –سبحانه–بعذاب قريب معجل في الدنيا وعذاب مؤجل في الآخرة: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. وقد جعل وعيده وتهديده بسبب الاستهزاء لأنه أعلى درجات الإنكار والتكذيب. قال الشوكاني–رحمه الله–: " فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الشَّيْءِ عَدَمُ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْتَقَلُوا عَنْ هَذَا إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالتَّكْذِيبِ ثُمَّ انْتَقَلُوا عَنِ التَّكْذِيبِ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، وَهُوَ الِاسْتِهْزَاءُ ... وقال:

---

[١٣] الشعراء ٣–٤–٥–٦

[١٤] محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ٣/ ٢٩٩

﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وَلَمْ يَقُلْ مَا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ، أَوْ مَا كَانُوا بِهِ يُكَذِّبُونَ، لِأَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ أَشَدُّ مِنْهُمَا وَمُسْتَلْزِمٌ لَهُمَا، وَفِي هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ"[١٥]

وهكذا يبدو للمتأمل في دعوة النبي محمد–عليه الصلاة والسلام– كم يكتنفها من مشاق وصعوبات يمثلها الإعراض التكذيب والاستهزاء من قومه حيث كان عند قومه الصادق الأمين قبل الدعوة؛ وأصبح الساحر المجنون الكاذب–في تصورهم –بعد الدعوة.

٣. ٢. دعوة النبي موسى صلى الله عليه وسلم

ولو وقف القارئ يتأمل موقف موسى عند تكليفه بتبليغ الرسالة من قبل الله –سبحانه –لأدرك صعوبة المهمة التي تنتظره، ولعلم مدى ثقل هذه المهمة؛ فحينما ناداه ربه وكلفه بتبليغ الرسالة إلى فرعون وقومه: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾[١٦] شعر موسى –عليه السلام –بثقل المسؤولية، وخطورة المهمة، فأبدى اهتمامه وطاعته لأمر ربه، ولكنه أعرب عن خوفه من تكذيب القوم له، وجحودهم رسالته، وعبر عن خشيته من هول الموقف الذي يمكن أن يتسبب بالإرتاج عليه وحبس الكلام في فمه، في مقام صعب التصور، وطلب من ربه أن يسعفه بمن يأنس به، ويساعده في تبليغ الرسالة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾[١٧]

قال ابن عاشور في التنوير والتحرير: " وَلَيْسَ الْقَصْدُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ التَّنَصُّلَ مِنَ الِاضْطِلَاعِ بِهَذَا التَّكْلِيفِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ تَمْهِيدُ مَا فَرَّعَهُ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبِ تَشْرِيكِ أَخِيهِ هَارُونَ مَعَهُ لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ وَالْخَطَابَةِ..."[١٨]. ويتذكر موسى في ذلك المقام ما كان أحدثه، يوم وكز القبطي فقضى عليه، ويتذكر تآمرهم به، وقرارهم تنفيذ حكم الإعدام به، فيبسط الشكوى لربه، ويعرب عن خشيته من بطشهم به عند دخوله عليهم فيقول: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[١٩]. والمتبادر إلى الذهن أن موسى كان يجزع من الموت، ويخاف سطوة فرعون وبطش جنده؛ ولكن ابن عاشور يرى غير هذا، فموسى في مقام

---

[١٥] محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) *فتح القدير* (دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ) ٤/ ١١٠

[١٦] الشعراء ١٠– ١١

[١٧] الشعراء ١٢–١٣

[١٨] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *التحرير والتنوير* (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ١٠٨/١٩.

[١٩] الشعراء ١٤

النبوة، وقد حظي بتكليم الله له، فما عادت روحه عزيزة عليه بقدر ما يعزُّ عليه عدم تبليغ الرسالة، التي شرفه الله –تعالى–بها، يقول: " وَقَوْلُهُ: فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ لَيْسَ هَلَعًا وَفَرَقًا مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ فِي مَقَامِ الرِّسَالَةِ مَا كَانَ بِالَّذِي يُبَالِي أَنْ يَمُوتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ خَشِيَ الْعَائِقَ مِنْ إِتْمَامِ مَا عُهِدَ إِلَيْهِ، مِمَّا فِيهِ لَهُ ثَوَابٌ جَزِيلٌ وَدَرَجَةٌ عُلْيَا" [٢٠] وهنا يأتي التأييد الإلهي، والنصرة الربانية لموسى وأخيه، فيعزز مهمته بالمؤآزرة التي لا تقف أمامها كل قوى الأرض، فليطمئنُّ موسى وأخوه، لمعية الله المرافقة لهما في كل خطوة، ومع كل مرحلة من مراحل تبليغ الرسالة: ﴿قَالَ كَلَّآۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ * فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[٢١]. وينطلق موسى وأخوه بثقة وعزيمة، يقرع باب فرعون بالحجة البالغة فيزعزع جبروته ويهين كبرياءه، فيطلب من موسى البينة والآية، ثم يلجأ إلى السحرة ليعزز مكانته، ولكنه ينهزم في مواجهة البينة ويفشل أمام البرهان، فينقلب إلى أبواقه الإعلامية التي تضلل الناس وتشوه الحقائق، ويسخر جيشه وقوته ليطمس الحق بباطله، ولكن الله–سبحانه– يهلكه وجنده، وينصر موسى ومن معه.

٣. ٣. دعوة النبي إبراهيم عليه السلام

إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– يواجه قومه بالمفاصلة والمزاولة، فيعلن الولاء لله رب العالمين، والعداء لمعبودات قومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ * أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ * فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ* ﴾[٢٢] هنا يواجه الخليل إبراهيم قومه بعقيدته التي يمثلها التوحيد، ويبرأ من معبوداتهم ، التي توارثوها عن آبائهم وأجدادهم ، فكل ما سوى الله باطل، لذلك يصرح بعداوته وبغضه؛ بل يبين لهم بهذا التصريح: أن كل معبود من دون الله سيكون عدواً لمن عبده يوم القيامة. ثم يفصل الخليل إبراهيم–عليه السلام– في بيان صفات معبوده ليحبب إلى قومه التوجه إليه بالعبادة، والتخلي عن معبوداتهم التي لا تضر ولا تنفع، فينسب إلى ربه – سبحانه– الهداية، والإيجاد من العدم، والإمداد بالصحة والعافية، الإماتة والإحياء، ويسهب في ذكر صفات الخالق سبحانه ثم يتضرع إليه متوسلاً. أن يغفر له الخطايا والذنوب يوم الحساب والجزاء، وما أراد إلا التلطف في دعوتهم، حيث نسب لنفسه الخطيئة ولم ينسبها لقومه، واستوهب من ربه الحكمة، وتمنى أن يلحقه بالصالحين: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ* وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ * وَالَّذِي

[٢٠] الطاهر بن عاشور، *التحرير والتنوير*، ١٠٨/١٩.

[٢١] الشعراء ١٥–١٦–١٧

[٢٢] الشعراء ٧٥–٧٦–٧٧

يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ* رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ*﴾[٢٣] وهذا الخطاب الدعوي من نبي الله إبراهيم يحمل في طياته الأسلوب الأمثل للداعية الذي يريد أن يوصل الرسالة للمدعوين بطريق غير مباشر، لأن توجيه الخطاب المباشر ربما يرفضه المتغطرسون والمتكبرون.

ويستمر في دعوتهم، ويداوم على نصحهم وإرشادهم، ولكنهم لا يستجيبون، ولما لم ينفعهم نصحه وإرشاده صعَّد من خطابه، فأظهر التضجر منهم ومن معبوداتهم: ﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ*﴾[٢٤] حينئذ كان ردهم قاسيًا، وبطشهم شديدًا، حيث أججوا نارًا عظيمة وأرادوا حرقه فيها ليكون عبرة لغيره، لولا أن تداركته رحمة ربه، فكانت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم :﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ * قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ* ﴾[٢٥] وهنا تطوى صفحة قوم براهيم، بعدما بدت العداوة بينه وبين قومه، فيهاجر وينتقل إلى حياة أخرى في وطن غير وطنه، ليتمم رسالته الإعلامية التي كلف بتبليغها إلى الناس، وهناك في أرض الشام يستقر بإبراهيم المقام، ويبدأ دعوته من جديد.

٣. ٤. دعوة النبي نوح عليه السلام

وكذلك الحال مع نوح، الذي ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، يجادلهم ليبين لهم الحق، فيعاني من تكذيبهم وسخريتهم، وتأففهم وتضجرهم من كثرة جداله لهم، بل تأنف أنفسهم من اتباعه والإيمان برسالته، لأن أتباعه من الفقراء والمساكين والأرقاء والعبيد: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ *﴾[٢٦]. يطلبون منه طرد المستضعفين من مجالسه، ليتبعوه ويؤمنوا بدعوته؛ ولكنه يأبى عليهم، ويبين لهم أن وظيفته التي أرسل بها ماهي إلا إبلاغ الرسالة لعامة الناس، فمن شاء اتبع وله الفوز والفلاح، ومن شاء أعرض وأدبر وسيكون له سوء المآل والعاقبة. ويعلن قراره برفض طلبهم بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * ﴾[٢٧]

---

[٢٣] الشعراء ٧٨...٨٣

[٢٤] الأنبياء ٦٦ –٦٧

[٢٥] الأنبياء ٦٨–٦٩

[٢٦] الشعراء ١١١

[٢٧] الشعراء ١١٤– ١١٥

ويستمر في دعوته مع قلة أتباعه، حتى يضجر قومه من إصراره في دعوتهم وإلحاحه في تبليغ الرسالة، فيهددونه بالرجم إن لم يكف عن مهمته، ويتركهم وشأنهم:﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ* ﴾[٢٨] ولم يأبه لتهديدهم، واستمر في دعوته وإرشاده، واتبع أساليب شتى في وعظهم ونصحهم، لا يكل ولا يمل، حتى طلبوا منه أن يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ*﴾[٢٩]. ويظل يدعوهم ويعظهم إلى أن يوحي إليه ربه –سبحانه – أن يتوقف عن دعوتهم، ويفارقهم غير مأسوف عليهم، فما عاد ينفع فيهم الوعظ ولا النصح ولا الإرشاد: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ *﴾[٣٠]. بعد كل العناء والنصب الذي حل بنوح –عليه السلام – وبعد كل هذه المدة المديدة من الدعوة التي ما عرف التاريخ مثلها، لم يستجب له من قومه إلا القليل، الذين ينجيهم الله في السفينة، بعدما يصدر–سبحانه–حكمه العادل بإهلاك سائر القوم بالطوفان. ألف سنة ونوح –عليه السلام– يصدح بالإعلام الصادق يدعو القوم إلى سبيل الحق والرشاد، بلا كلل ولا ملل، والإعلام المضل من الخصم يبذل قصارى جهده ليثني العامة من الغاوين عن تصديق نوح والاقتناع برسالته. وتنتهي الجولة بهلاك الضالين على كثرتهم، ونجاة المؤمنين على قلتهم.

٤. مقارنة بين خطاب الرسل وخطاب طواغيت الأقوام

ولو تتبعنا سياق الآيات في هذه السورة المباركة، نجد خطاب الأنبياء لأقوامهم يتسم بالصدق والنصح والإشفاق، أما خطاب الكبراء من الأقوام فيتسم بالاستعلاء والغطرسة، والسخرية من الرسل، واتهامهم بالسحر. بل وينتقصون من قدرهم، ويعيرونهم بأتباعهم المساكين والفقراء المستضعفين. فهذا نوح يخاطب قومه، ويدعوهم إلى اتباع طريق الحق والرشاد، ويحرص على إقناعهم بأمانته وبعفته عن أموالهم، وأن مقصده وغايته هدايتهم وإرشادهم وما فيه مصلحتهم: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِين *فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[٣١]، فيتجلى خطاب الاستعلاء والاستكبار في قولهم، حيث يصرحون برفضهم اتباعه، وتأخذهم العزة بالإثم، كيف يؤمنون له ويصدقون دعوته وأتباعه أراذل القوم ومساكينهم، فيخاطبونه بالأنفة والكبرياء:﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]، فيجيبهم إجابة الحكيم ليفهمهم أن المرء بمخبره لا بمظهره، وأن

[٢٨] الشعراء ١١٦

[٢٩] هود ٣٢

[٣٠] هود ٣٦

[٣١] الشعراء ١٠٦....١١٠

مردَّ النوايا إلى الله الذي يعلم السر وأخفى، وأن مهمته تبليغ هذه الرسالة، ولا فرق عنده بين غني وفقير، وعزيز وحقير: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ*﴾[٣٢]، ويقدم لهم الحجج والبراهين على صدق دعوته، ولا يملُّ من جدالهم وحوارهم؛ ولكنهم حينما تنقطع حجتهم يبادرون إلى التهديد والوعيد: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾[٣٣]. وهكذا يكون جواب العاجز عن ردِّ الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان؛ وهذا حال الجبابرة الطغاة في كل زمان ومكان، حينما تنقطع حجتهم وتخونهم الإجابة، يلجؤون إلى التهديد والوعيد بالرجم أو الحبس أو القتل.

وحينما يقف هود على قومه ويدعوهم إلى سبيل ربهم، مذكرًا بالنعم التي حباهم الله بها، لا يبعد جوابهم عمن سبقهم، بل قد يشتد رفضهم وإنكارهم لكل ما جاء به نبيهم، وردّ كل ما يدعوهم إليه:﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ *إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ مُعَذَّبِينَ*﴾[٣٤]، وكأنهم يقولون: لا تتعب نفسك، لن نصدق رسالتك، ولن نسمع خطابك، فحضورك وغيابك سواء، وكلامك وصمتك سواء، فهذا الخطاب الذي أتيت تدعونا به مكرور ممجوج، سبقك إليه من سبقك، فلن نقبل دعوتك، ولن نستجيب لك.

ولما يقف صالح –عليه السلام – على قومه خطيبًا، ويعلن تكليفه الذي جاء به، ويعدد النعم الممنوحة لهم من ربهم، يكذبونه ويرفضون دعوته، وينتقصون قدره، يتهمونه بالسحر، ويطالبونه بدليل حسي خارق للعادة تعجيزًا منهم، وتمحلًا:﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ *﴾[٣٥]. فلما أحضر لهم الدليل، وكان ناقة تخرج من جوف الصخر لا تشبه النياق يتبعها فصيلها؛ جحدوا الحق واستنكروا، واتهموا الرسول بالسحر والشعوذة، وكذبوا البرهان الحسي الذي لا يمكن نكرانه؛ بل وعقروا الناقة إمعانًا في الجحود والكفران، فكانت العاقبة الهلاك والخسران.

أما لوط –عليه السلام –فقد كانت مهمته الإعلامية أشق وأصعب من مهام الأنبياء السابقين، لقد بعث إلى قوم هو غريب عنهم، ليس من جنسهم ولا من عشائرهم، كانوا شواذ السلوك، قد انحرفت طباعهم

---

[٣٢] الشعراء ١١٢...١١٥

[٣٣] الشعراء ١١٦

[٣٤] الشعراء ١٣٦–١٣٧–١٣٨

[٣٥] الشعراء ١٥٣–١٥٤

عن الفطرة السليمة، فاكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وعاشوا حياة الفوضى الإنسانية، فتهارشوا كالبهائم، وتحاذفوا بالبندق، وصفقوا وصفروا في نواديهن، وتحرشوا بالمسافرين، وقطعوا الطريق على السابلة. ولما أعلن خطابه الإعلامي، بدأ يعرّف بنفسه، وينصح لهم، وللغريب أن يبدي ما خفي عمن لا يعرفه من المجتمع الجديد لكي يوثق العلاقة بهم:﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ *﴾[٣٦]، ويظهر لهم حسن نيته، واستغناءه عن أموالهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ﴾[٣٧] فلما أصغوا إليه ليسمعوا ما يدعوهم إليه، فاجأهم بما لم يحتسبوا، وبادرهم باستفهام إنكاري تعجبي، يكشف سوء أفعالهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ*﴾[٣٨]. وهنا تظهر خبايا نفوسهم، فيجهرون بالرفض لنصيحة نبيهم، أيها الغريب دعنا وشأننا، وإلا فسنطردك من قريتنا، ونبعدك عن أرضنا: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ*﴾[٣٩]. وهنا تنتهي مهمة النبي، وتنطوي رسالته، فيقرر المفاصلة، ويعلن البراءة منهم ومن سلوكياتهم ويستغيث بالله ويلتجئ إليه، طالبًا النجاة منهم ومن سوء أعمالهم: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * ﴾[٤٠]. وهنا تأتي نصرة الله لعبده الغريب، المغلوب على أمره، فينجيه من خبثهم ومكرهم، وينزل بهم سوء العذاب فيهلكهم ويجعلهم عبرة لمن خلفهم.

وحينما يقف شعيب –عليه السلام– على أصحاب الأيكة، يذكرهم ويعظهم، ويدعوهم إلى تقوى الله وطاعته، وحسن التعامل مع خلقه، وينهاهم عن تطفيف الكيل، وبخس الناس حقوقهم، فيتهمونه بالسحر ويكذبونه، ويحطون من قدره، ويتحدونه أن يأتيهم بالعذاب الذي يعدهم به. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ*﴾[٤١] عندئذٍ يكل أمره إلى الله، ويلتجئ إلى كنفه، ويبرأ من علمه وينسب كل العلم إلى الله،

[٣٦] الشعراء ١٦٢-١٦٣
[٣٧] الشعراء ١٦٤
[٣٨] الشعراء ١٦٥-١٦٦
[٣٩] الشعراء ١٦٧
[٤٠] الشعراء ١٦٨- ١٦٩
[٤١] الشعراء ١٨٥-١٨٦-١٨٧

فيصرون على تكذيبه والنيل من مصداقية دعوته؛ فينزل عليهم البلاء ويحل بهم الهلاك: ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[42]*

وهكذا يبدو للمتأمل أن الرسل دعوتهم واحدة، ومقاصدهم واحدة، غايتهم هداية الأقوام، ومرادهم إرشادهم مع زهدهم بأموالهم ومتاعهم. والأقوام تتشابه تعاملاتهم مع رسلهم، فكلهم يرمونهم بالكذب، ويتهمونهم بالسحر والتجديف والجنون، ويتحدونهم ويستخفون بإنذاراتهم، لذلك يحل بهم سخط الله وينزل بهم عذابه.

٥. الإعلام المضلل وأساليبه المتشابهة على مرّ الزمان

لو تتبعنا طريق الأنبياء في الدعوة، وتبليغ الرسالة لوجدنا الحال نفسه يواجه كل نبي حينما يدعو قومه إلى الإيمان بالرسالة التي يحملها من ربه. وتتكرر معاناة الأنبياء مع أقوامهم، وكأنما أولئك الأقوام قد تواصوا بالحال نفسه، فتعاهدوا على تكذيب الأنبياء والسخرية منهم؛ فقوم هود وقوم صالح وقوم لوط، وسائر الأقوام الذين بعثت إليه الأنبياء قد واجهوا أنبياءهم بالتكذيب والسخرية والاستهزاء، واتهامهم بالجنون: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ * أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ *﴾[٤٣] وهذا ديدن الأقوام مع رسلهم دائمًا، اتهامات جاهزة تتوارثها الأجيال كابرًا عن كابر، وكأن الآباء أوصوا بها الأبناء، وكل منهم كان رافضًا للدعوة التي جاءتهم من عند مولاهم الحق. قد عميت بصائرهم، وغلبتهم أهواؤهم وتحكمت بهم شياطينهم. فكم لاقى الأنبياء والرسل من أقوامهم، وكم عانوا من الاضطهاد والطرد والإبعاد، وكم نالهم من التنكيل والتعذيب فصبروا على كل ذلك، حتى أتاهم أمر الله بالنصرة على الأقوام، أو مزايلتهم والهجرة من الأوطان.

٦. الخطاب الهادف بين دعاة الهداية ودعاة الضلال

الخطاب الهادف يقوم على المجادلة والمناظرة بين فريقين: فريق يحمل الفكرة الخطأ والسبيل الضال، ويقابله فريق يحمل الفكرة الصواب والسبيل الرشيد؛ وكل فريق من طرفي الحوار يحاول أن يثبت حجته، ويؤيد برهانه بالأدلة التي يعرضها ويتبناها؛ ويبقى الحق والباطل في صراع دائم مادامت الحياة؛ ويظل التدافع مستمرًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

[42] الشعراء ١٨٨-١٨٩

[٤٣] الذاريات ٥٢-٥٣

٦. ١. الحوار بين موسى وفرعون

وتنقلنا السورة الكريمة "الشعراء" إلى مشهد إعلامي طريف، حيث يُعقد المؤتمر الصحفي بحضور فرعون وحاشيته، ويتقدم نبي الله موسى بصحبة أخيه هارون عليهما السلام، ليدلي بتصريح إعلامي صادق يلقيه أمام الملأ من قوم فرعون؛ يعلن فيه قرارًا من رب العزة –جل جلاله – مفاده: كف يد فرعون عن بني إسرائيل، وانتهاء مدة استعبادهم واسترقاقهم، وإخلاء سبيلهم، واصطحاب موسى لهم إلى الأرض المقدسة. وهنا يبدأ الضخ الإعلامي من فرعون بتوبيخ موسى وتذكيره بالجريمة التي ارتكبها قبل فراره من مصر: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ *﴾[٤٤]، وهنا يبدو السؤال من فرعون والاستفهام مفاده المنُّ على موسى بتربيته والعناية به صغيرًا، وعتابه ولومه على ما وقع منه قبل هجرته وفراره. ويرد موسى معتذرًا عن فعلته، ومجيبًا على أسئلة خصمه، مبينًا مضمون الرسالة التي يحملها من ربه، ويستمر الحوار بين موسى وفرعون، ويعلن موسى مبدأ التوحيد لله رب العالمين، فحينئذٍ يتساءل فرعون مستخفًا بدعوة موسى، متجاهلًا معرفته بالله سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤٥] ويشتم المتأمل رائحة الاستهزاء والسخرية من سؤال فرعون "وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ؟". ويجيب موسى بخطاب واثق هادئ، واصفًا شمول الربوبية والملك لله سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٤٦] وهنا يأتي الخطاب المضلل من فرعون، حيث يلتفت إلى حاشيته وأتباعه، متسائلًا تساؤل المنكر المستهزئ: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[٤٧]. مازالت تساؤلات فرعون تفيد السخرية والاستهزاء وكأنه يحرضهم على إنكار دعوة موسى عليه السلام. ولا يأبه موسى باستهزاء فرعون بل يثابر مضيفًا بثقة وثبات: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء:٢٦] ، يبدو من الحوار مدى قوة كلمة الحق في خطاب موسى؛ وضعف خطاب فرعون رغم المظهر الساخر المتغطرس؛ موسى الإعلامي الجاد، وفرعون الذي يستقبل الخطاب الموسوي بالأسئلة الساخرة؛ ويستمر الحوار حتى تنقطع الحجة الإعلامية لفرعون فيتهم موسى بالجنون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ويستمر موسى بتبليغ رسالته الإعلامية، حتى يصل الأمر بفرعون إلى استعمال خطاب التهديد والوعيد: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ

---

[٤٤] الشعراء ١٨– ١٩

[٤٥] الشعراء ٢٣

[٤٦] الشعراء: ٢٤

[٤٧] الشعراء ٢٥

ٱلۡمَسۡجُونِينَ* ﴾[٤٨] عند ذلك يكشف موسى عن مفاجأة مدهشة من أجل إثبات حجته، وتعزيز خطابه الذي بادرهم به. فيقدم عرضًا طريفًا، يجعل منه دليلًا قاطعًا يوثق صدق رسالته، فيحول العصا ثعباناً يرعب الحضور، فعن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: "ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرةً فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رأى فرعون أنها قاصدةٌ إليه، اقتحم عن سريره، فاستغاث بموسى أن يكفَّها عنه، ففعل"[٤٩]. كما يخرج يده من جيبه، فتسطع نورًا يبهر أبصارهم؛ قال ابن عباس: " أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمه، فعادت إلى لونها الأول "[٥٠].

ولم يبق أمام كل من حضر إلا التصديق والاقتناع؛ ولكن التضليل الإعلامي الذي يبتكره فرعون يزرع الشك في نفوس الحاضرين، فيفترض سوء النية من الرسول، وينسب إليه أعمال السحر، وغايته سلب أملاكهم وديارهم، ويحملهم مسؤولية الموقف: ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ * يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ *﴾[٥١]، وهنا تتهافت الاقتراحات، وتثمر الخدعة الإعلامية من فرعون، فيقرر الحاضرون دعوة كل ساحر في البلاد ليناظر موسى ويبطل سحره: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ * ﴾[٥٢]، ويقبل موسى التحدي، ويحدد اليوم الموعود للمناظرة السحرية العجيبة، ويبدأ الضخ الإعلامي المضلل يدعو الناس للاجتماع، مع افتراض تغلب السحرة ، وذلك قبل موعد المناظرة: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ *﴾[٥٣]. يبث إعلاميو فرعون في روع الناس احتمال غلبة السحرة، ولكي تتهيأ الطبائع التي تميل للفريق المنتصر، وأن انتصار فريق السحرة أمر حاصل، وذلك من أجل تعزيز موقفهم؛ ولكن الله غالب على أمره، ينصر رسله ويهزم خصومهم، وتغلب عصا موسى حبال السحرة وعصيهم، ويقر السحرة بصدق رسالة موسى، ثم يؤمنون بدعوته. وهنا تنطلق أبواق الإعلام المضلل، لتوحي للناس أن السحرة متآمرون مع موسى، وأن المناظرة كلها تمثيل من أجل إقناع الناس بخطاب موسى، الذي يرمي إلى إفساد حياتهم وسلب ديارهم وأموالهم، ويبطش فرعون بالسحرة، فيقطع أيديهم وأرجلهم، ويصلبهم فوق جذوع النخل، أمام العيون النواظر. وبدأت دعوة موسى تثمر وتؤتي

---

[٤٨] الشعراء ٢٩

[٤٩] محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت)، ١٣/١٦.

[٥٠] الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ١٠/٣٤٦.

[٥١] الشعراء ٣٤–٣٥

[٥٢] الشعراء ٣٦–٣٧

[٥٣] الشعراء ٣٩–٤٠

أكلها، فبعض شباب بني إسرائيل بادروا الانضمام إلى صف موسى وأعلنوا الإيمان به وتصديق خطابه، على حذر وخوف من بطش فرعون ومن يمالئه من كبراء بني إسرائيل أصحاب المصالح. ويعلم فرعون أن تطورات الأمور أخذت بالتسارع، وما عادت كما يرغب ويحب، فبدأت أبواقه الإعلامية تنشر الإشاعات الكاذبة، وتصف الجماعة المؤمنة بأوصاف منفرة، لكي يتجنبهم الناس ولا يتابعوهم: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ *﴾[٥٤] ينشرون الإشاعات، ويبثون في روع الناس أقبح الصور وأشنع السِّيَر، ولا يتوانون عن إلصاق شتى الأوصاف الذميمة، والتهم الوخيمة بالفئة المؤمنة بموسى.

٦. ٢. أبواق فرعون والإعلام المضلل

٦. ٢. ١. التقليل من شأن الخصم

وهي الصفة التي تنطلي على العامة ودهماء المجتمع؛ حيث يوصف الخصم بالسذاجة والبساطة والقلَّة، وعدم مواكبة الحضارة التي يعتد بها الخصم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾[٥٥]، وهكذا وُصِف أتباع موسى بالشرذمة، وأصلها في اللغة القطعة من السفرجلة[٥٦]. وتوحي بمعنى الانتقاص من قدرهم والتقليل من شأنهم؛ فالتحقير من الخصم، والحط من قدره يجعل مساحة المعارضة التي يشكلها الخصم ضيقة، وشأن أفرادها ضئيل، وعددهم قليل؛ فلا قيمة لهم، ولا يهمنا أمرهم، وهذا ديدن الطغاة والظلمة المتكبرين في كل زمان ومكان.

٦. ٢. ٢. اتهام الخصم بإحداث الفوضى والإخلال بالنظام العام

يُتَّهَمُ الخصم بإحداث الفتن في المجتمع، والإخلال بالأمن العام، وعصيان النظام، ولذلك يصمهم بصفات مفادها التسبب في تكدير الحياة العامة، ويحشد لذلك كل أساليب الكذب لجمع شتات المجتمع على رأيه، ليكسب التأييد من العامة، والموافقة على استئصال الخصم: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾[٥٧] يرفعون سقف التهم فينسبون إلى الخصم كل ما يعكر صفو مجتمعهم أو يخل بأمنهم، ويحدث الفتنة بين صفوفهم. فهم سبب

---

[٥٤] الشعراء ٥٣

[٥٥] الشعراء ٥٤

[٥٦] الشِّرْذِمةُ: القِطْعة مِنَ الشَّيْءِ، وَالجَمْعُ شَراذِمُ؛ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّةَ: فَخَرَّتْ وأَلْقَتْ كلَّ نَعْلٍ شَراذِماً، ... يَلُوحُ بِضَاحِي الجِلْدِ مِنْهَا حُدُورُها

اللَّيْثُ: الشِّرْذِمةُ الْقِطْعَةُ مِنَ السَّفَرْجَلة وَنَحْوِهَا، انظر: محمد بن مكرم ابن منظور الرويفعى (ت ٧١١هـ)، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر،١٤١٤هـ)، ٣٢٢/١٢

[٥٧] الشعراء ٥٥

الغيظ الذي يعترينا، وسبب غضبنا، لذلك سيكون بطشنا بهم شديد، فلا لوم ولا عتب والعذر واضح، فالمتسبب بإغاظة المجتمع بأسره يحكم عليه سلفًا بالهلاك.

٦. ٢. ٣. التحذير من خطر الخصم

يُحذر الناس من خطر الخصم. وهذا شأن الطواغيت في كل زمان ومكان، عندما تنقطع حجتهم يلجؤون إلى التضليل الإعلامي، وينسبون إلى خصومهم شتى التهم التي تعكر صفو المجتمع، وتستفز القائمين على استقراره وأمنه: ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ * ﴾[٥٨] ففي طيات هذه التهمة الكثير من الإيحاءات النفسية؛ ينبغي أن نحذر خطرهم، ونتجنب التعاون معهم، أو الاتصال بهم جميعًا، وكل من يتواصل بهم فهو متهم بجريمتهم، والانتماء إلى حزبهم، وسيؤخذ بجريرتهم، فحذار من الميل إليهم، وإيانا وإياكم والتواصل معهم.

تهم ثلاثة جاهزة تؤلفها الحكومات الظالمة المتسلطة دائمًا، على مر العصور والدهور، وقد اعتادت على إلصاقها بكل من يخرج عن طاعتها، ويتنكب طريقتها.

٦. ٣. نموذج من الأساليب البلاغية في الخطابات الإعلامية

اتسمت الأساليب البلاغية في الحوارات بين الرسل والملأ من الأقوام بالتباين، ما بين أساليب إنشائية وأساليب خبرية، فغالب الخطابات التي تصدر من الرسل أساليبها خبرية، وغالب الخطابات الصادرة من الذين استكبروا أساليبها إنشائية. وذلك لأن الرسل يحملون رسالة إعلامية غرضها البلاغ والبيان، أما الطواغيت فغالب ما في خطاباتهم الإنكار والسخرية والاستهزاء.

فعندما يدخل موسى وأخوه هارون على فرعون ليؤدي رسالته الإعلامية، التي مفادها بأن الله رب العالمين؛ يتساءل فرعون بأسلوب الاستفهام الذي يحمل في طياته الانتقاص والتقليل من قدر إله موسى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٥٩] نسمع جواب موسى بأسلوبه الخبري الحازم الجازم المفعم بالثقة واليقين، حيث يقول: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾[٦٠] وهنا نلاحظ حذف المبتدأ "هو" بعد القول، والإسراع بالإفصاح عنه بالخبر:" رب السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا..." وهذا الإيجاز من بلاغة الخطاب القرآني، وغرضه تعظيم الرب –سبحانه– الذي شملت ربوبيته كل شيء معهود للمتلقي وغير

[٥٨] الشعراء ٥٦

[٥٩] الشعراء ٢٣

[٦٠] الشعراء ٢٤

معهود، فهو: "رب السموات والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا"، وهنا يأتي الخطاب الفرعوني بأسلوب الاستفهام الذي يحمل السخرية والتهكم، ويظهر التعجب من قول موسى، حيث يلتفت إلى حاشيته وجلسائه من الملأ ويقول متسائلًا: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[٦١] .وكأن لسان حاله يقول لهم هل تصدقون هذا القول من هذا " المهين ولا يكاد يبين" الذي يأتينا بخطاب غريب عن بيئتنا؟.

ويصَعِّد موسى من خطابه بأسلوبه الخبري الواثق المستفز: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[٦٢] لقد انتقل–عليه السلام– من ذكر العام "رب السموات والأرض وما بينهما" إلى ذكر الخاص "ربكم ورب آبائكم" وأكد الآباء بالصفة "الأولين" إمعانًا في الاستفزاز والإحراج. لقد كان خطابه عاما، ولكنه الآن يوجه إلى فرعون المتأله، الذي يدعي أنه إله مصر وأهلها، وإلى الحاضرين الذين يؤلهون فرعون، ولا يتخذون غيره إلهًا. حينئذ ينفعل فرعون الذي ظل يكتم الغيظ، ويتجمل بالتحمل والصبر، ويظهر الاستعلاء وعدم الاهتمام بما يقال، ولكنه عندما سمع: أن رب موسى هو رب كل شيء، بل ربه هو وربُّ آبائه الأولين، الذين يزعم أنهم آلهة، وأن لهم السلطة المطلقة؛ وأن هذه الربوبية أصبحت وهمًا؛ وهنا يلتفت إلى الملأ حوله بأسلوب خبري مؤكد بتأكيدات متعددة متتالية، يؤكد لهم أن كل ما يسمعونه لا صحة له ولا مصداقية، فيتهم موسى بالجنون، وربما كان يكفيه القول: "هذا مجنون " ولكنه أفصح عن غيظه وقلقه، فعبر بقوله:﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[٦٣] حيث أكد الخبر بـ" إنَّ، والَّذي، وإليكم، واللام"، ليعزز مكانته التي شعر أنها تزعزعت، ويوحي إلى من حضر من الملأ أن هذه الأخبار التي يلقيها موسى لا تصدر عن عاقل، فما هذا إلا كلام مجنون. فما يزداد موسى إلا إصرارًا على إبلاغ الرسالة، فيمضي بتعداد خصائص الربوبية التي ينسبها إلى رب العزة جل جلاله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٦٤]، وهنا يفقد فرعون صوابه، ويتميز غيظه، ويصرخ بأعلى صوته مهددًا موسى بالعقوبة الشديدة: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[٦٥] لم يقل له: " لَأَسْجُنَنَّكَ" ويكتفي بها، ولكنه يطنب في وعيده لموسى، إمعانًا في التهديد والترهيب؛ قال ابن عاشور " سَلَكَ فِيهِ طَرِيقَةَ الْإِطْنَابِ لِأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمَقَامِ التَّهْدِيدِ لِأَنَّهُ يُفِيدُ مَعْنَى

[٦١] الشعراء ٢٥
[٦٢] الشعراء ٢٦
[٦٣] الشعراء ٢٧
[٦٤] الشعراء ٢٨
[٦٥] الشعراء ٢٩

لَأَجْعَلَنَّكَ وَاحِدًا مِمَّنْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ فِي سِجْنِي، فَالْمَقْصُودُ تَذْكِيرُ مُوسَى بِهَوْلِ السَّجْنِ ... وَقَدْ كَانَ السِّجْنُ عِنْدَهُمْ قَطْعًا لِلْمَسْجُونِ عَنِ التَّصَرُّفِ بِلَا نِهَايَةٍ، فَكَانَ لَا يَدْرِي مَتَى يَخْرُجُ مِنْهُ. "[٦٦]

وهكذا تتجلى الأساليب البلاغية، والدلالات المعنوية في الخطابات الإعلامية لكل من أصحاب الخطاب الرشيد الهادي، وهم الرسل، وأصحاب الخطاب المضلل وهم الطواغيت من الأقوام، يستخدم كل منهم المؤكدات لتأكيد خطابه، وينوع في الأساليب ليقنع القوم برأيه؛ ويظل السجال بين الحق والباطل قائمًا ما قام الوجود، دائمًا ما دامت الحياة.

٧. الخاتمة

للكلمة الأهمية الكبرى، والمكانة السامية عند العرب، فللكلمة البليغة الهادفة الأثر البالغ في إقناع السامع بالفكرة التي يعرضها المتحدث؛ ولا عجب من قدرة صاحب الكلمة الفصيحة على إقناع العامة بفكرته؛ فبقدر فصاحة كلمته التي ينطق بها تكون استجابة السامعين، ولعل الشاعر العربي فيما مضى يمثل الإعلامي المعاصر الذي يوجه عقول العامة من الناس؛ فالبيت من الشعر يرفع قبيلة ويحط أخرى، ويعز شخصًا ويذل آخر.

والشاعر هو الذي يسمع صوته في المجتمع العربي، لذلك سمَّى الحق –سبحانه– سورة من القرآن الكريم باسم " الشعراء"، وفي هذا الاسم إشعار بأهمية الشعراء، الذين كانوا يمثلون الصوت المسموع والمتبوع، ولا تخلو السورة من وقفات، تبرز خطر الصوت الإعلامي، ودوره في تشكيل العقل الجمعي للمجتمعات الإنسانية.

وماورد في سورة الشعراء من حوارات يمثل حقيقة الإعلام بشقيه المرشد والمضلل. والتأمل في معاني سورة الشعراء يدرك مراميها ومقاصدها. وقد تطرق الباحثان للمقاصد التي هدفت لها السورة والغرض من تسميتها بـ"الشعراء "، وختماها بآيات تلقي الضوء على الأثر الإعلامي للشعراء، الذين وصفهم الحق – سبحانه–بأنهم ﴿يتبعهم الغاوون﴾، وأنهم في كل واد من وديان القول يهيمون، باستثناء أصحاب الكلمة النظيفة الطيبة.

والمتأمل في النظام الكوني يجده قد انبنى على المثاني وقام على التقابل في التعامل، فالصراع بين الحق والباطل لا ينقضي مادامت الحياة، والتدافع سنة كونية تقوم بها هذه الحياة.

---

[٦٦] التحرير والتنوير، ج١٩، ١٢٢

فالأنبياء يبلغون رسالات ربهم، ويصبرون على أذى المجرمين من أقوامهم، وخطابهم الإعلامي في سائر العصور والأزمان متشابه، كله يدعو إلى الإصلاح، ويهدف إلى تبصير الأقوام بحقيقة وجودهم ووظيفتهم في الحياة، كما يهدف إلى تعريفهم بمنهج التعامل مع الخلق ومع الخالق.

أما المجرمون فيواجهون الرسل بالتكذيب والتحقير والتهم الزائفة، ويتمادون في إيذاء الرسل وإنكار دعوتهم، ويجاهرون في معاداتهم؛ ولذلك يأذن الله بطي صفحة الدعوة عندهم، فيأمر النبي بالانصراف عن قومه، وينجيه ومن آمن معه من بيئتهم الفاسدة، ويرسل على المجرمين العذاب والهلاك بشتى أصنافه وأنواعه، فمنهم من تأخذهم الصيحة، ومنهم من تهلكهم الريح، ومنهم من ينزل عليهم حجارة النار، ومنهم من يأفك بهم الأرض أو يخسفها؛ ومنهم من يغرقه بالطوفان، وكل منهم ينال جزاء جحوده وإنكاره.

وقد استنتج الباحثان حقيقة كونية لا تتبدل ولا تتغير؛ فالمجرمون يترصدون أصحاب الرسائل ودعاة الحق، ويجتهدون في إفشال دعوتهم، ولا عجب من ديمومة المواجهة والمناكفة بين أهل الحق وبين خصومهم، وقد عرض رب العزة –جل جلاله– هذه الحقيقة المتمثلة في العلاقة بين الرسل وأتباعهم من جانب، والمجرمين وأتباعهم من جانب آخر، قال–سبحانه–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[٦٧] يختم الآية بتطمين أنصار الحق ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ حيث يتكفل –سبحانه– لأهل الحق بالهداية والنصرة. فهو الهادي إلى سداد الأمور في مسالكها، وهو الناصر في إنجاح دعوة الحق في مآلاتها. وموعود الله –سبحانه– لعباده بنصرة الحق وإزهاق الباطل حاصل لامحالة، وحاشاه أن يخلف الميعاد. وتبقى كلمة الحق واضحة ناصعة، تنتظر من يحملها ويبلغها إلى من يتلقاها بالقبول والتسليم، ويعمل بمقتضاها، كي يسعد في دنياه، ويفوز في أخراه.

[٦٧] الفرقان ٣١

المراجع

ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ

الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. د.ن، د.ت.

الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء. جدة: دار المدني، د.ت

الزَّبيدي، محمّد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: دار الهداية، ١٩٦٥م.

الزمخشري محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي،٤٠٧ هـ

الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ

الشيباني، أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة المكرمة: دار التربية والتراث، د.ت.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية،١٤٣١هـ.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب. بيروت: دار الجيل، د.ت

اليوسي، الحسن بن مسعود. زهر الأكم في الأمثال والحكم. تحقيق: محمد حجي، الدار البيضاء: الشركة الجديدة،١٩٨١م.